

تفسير ابن كثير

وَمَكُرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

وقوله : (قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله) أي : تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح ،

عليه السلام ، من لقيه ليلاً غيلة . فكادهم الله ، وجعل الدائرة عليهم . قال مجاهد :

تقاسموا وتحالفوا على هلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين . وقال قتادة :

توافقوا على أن يأخذوه ليلاً فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينما هم معانق إلى صالح ليفتكوا به ،

إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدمتهم . وقال العوفي ، عن ابن عباس : هم الذين عقروا

الناقة ، قالوا حين عقروها : نبيت صالحا [وأهله] وقومه فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح :

ما شهدنا من هذا شيئاً ، وما لنا به من علم . فدمرهم الله أجمعين . وقال محمد بن إسحاق

: قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا ، فإن كان صادقا عجلناه قبلنا ،

وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته! فأتوه ليلاً لبيته في أهله ، فدمغتهم الملائكة

بالحجارة ، فلما أبطؤوا على أصحابهم ، أتوا منزل صالح ، فوجدوهم منشدين قد رضخوا

بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ، ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ، ولبسوا السلاح

، وقالوا لهم : والله لا تقتلونه أبدا ، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث ، فإن كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا ، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون .

فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك . وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة وقال لهم صالح : (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) [هود : 65] قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث . وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه ، فخرجوا إلى كهف ، أي : غار هناك ليلا فقالوا : إذا جاء يصلي قتلناه ، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، ففرغنا منهم . فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم ، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار ، فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم . فعذب الله هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هاهنا ، وأنجى الله صالحا ومن معه ، ثم قرأ : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية) أي : فارغة ليس فيها أحد (بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) .